(14 أكتوبر) تكتشف التاريخ والحضارة اليمنية القديمة من تراث صعدة

الحديث عن محافظة صعدة شيق وممتع

عندما يكون الحديث عن محافظة صعدة الجبلية التي تقع على بعد ٢٥٠ كيلومترا الى الشمال الشرقي من العاصمة صنعاء فإن الحديث يكون شيقا وممتعا وذا شجون ايضا كطريق الوصول اليها اوحتى للتجوال في بلداتها اوقراها كون هذه المحافظة يسكن فيها الكثير من التاريخ اليمني القديم والاسلامي بل أن كل شبر من ارض (صعدة) يفوح منها عبق التاريخ الاصيل والحضارة اليمنية التي لا ينتفض عنها غبار التاريخ قط.. فكانت زيارة صحيفة "١٤أكتوبر" لمحافظة صعدة ضمن زيارة وفد برلماني يتالف من ٧٠ عضوا يمثلون مختلف الانتماءات الحزبية بهدف تفقد وتلمس اوضاع المواطنين بعد إخماد فتنة التمرد الحوثية هي اشبه برحلة استكشاف للتاريخ الذي لا ينسى اوللحاضر والمستقبل.. ليس لانها أول زيارة بالنسبة لشخصي وإنما المهم انها تمثل قصصا مشوقة تخلد في الذاكرة مدى الحياة للأجيال القادمة.

فكلما رغب المرء بالتعرف على مجتمعها من واقع المحافظات البعيدة وحياة الريف الهادئة والبسيطة عن قرب تجد كل شيء جميل وساحر وممتع في جانب يعتبر نصف الصورة الكاملة "الحلوه والواضحة" الذي دائما تكون مبتسمة وغير عابسة مثل شروق الشمس في كل نهار حتى وإن بقى الجزء الثاني من هذه الصورة عاتما يأتي بالمأساة والحزن والآلام وذكريات سوداء تعبرعن مرارة الحياة..

في صعدة رأيت الصورتين تجتمعان معا في قالب واحد هو(التاريخ القديم الذي لا يندثر..جمال الطبيعة النادرة التي تسحرك كالجبال التي اسعدتني واحزنتني ايضا.. فما من شيئ يسرق ناظريك ويشد قلبك كهناك في "صعدة" حيث العلم والتاريخ لن تجدها في أي مكان اخر الا في بعض الصور المشابه من مواقع التراث الموجود فقط في اليمن.. تأخذك مناظر مؤلمة هي آثار للدمار والخراب والمأساة.. انها صفحات تذكرك بإراقة الدماء والموت وحياة الإعاقة للبشر للعيش نصف انسان.. تلك سيرة الحرب ونتائجها البشعة التي تزيل كل ماهو جميل في هذه (الأرض)..

متابعة/ ذويزن مخشف

هاتان الصورتان ترتسمان في مخيلتي عن صعدة حيث مكثت فيها خمسة أيام بحلوها ومرها استعرضها وتناول الحديث عنها عبر صحيفة "١٤أكتوبر" التي رافقت البعثة البرلمانية للمحافظة لإزالة آثار احداث الفتنة والحرب التي وقعت بين قوات الجيش والأمن ضد جماعة الحوثيين التي أبت ان تواكب عهد الجمهورية اليمنية والنظام الدستوري والديمقراطية وأهداف الثورة اليمنية في محاولة لإعادة الحكم الإمامي الاستبدادي.

لذلك فقبل الخوض في عناء الكتابة عن زيارتي ارتأيت ان اقدم صعدة تلك المدينة المعروفة بتاريخ طويل يحتم علينا (كصحفيين) ابرازها والبحث عن مواطنها ،فالمظاهر والمواقع الاثرية والتاريخية التي تزخر بها صعدة قيمة.. لذلك فاستخلاصنا سيعتمد في بادئ الامر على رويات المواطنين وأناسا عاصروا التاريخ ولوا به من ابناء المحافظة او من خلال بعض المراجع التي استندت اليها.

صعدة.. النشأة والظهور:

عرفت مدينة صعدة قبل ظهور الإسلام في الفترة الإسلامية المبكرة عبر النقوش من تسميتها في النقش الموسوم بـ(CH 31)او بإسم (ص ع د ت م) كما عرفت من بعض المراجع التاريخية الاسلامية القديمة مثل كتاب «صفة جزيرة العرب للهمداني» بقوله عن(مدينة صعدة) انها سميت في الجاهلية (جماع) وكان مر بها في قديم الدهر قصر مشيد حيث اصدر رجل من اهل الحجاز من بعض ملوك البحر فمر بذلك القصر وهو تاعب فاستلقى على ظهره وتأمل سمكه فلما اعجبته الرؤية قال عن ذلك "لقد صعده لقد صعده".. لذلك انطلقت تسميت صعده من يومئذ!!

ويقول مرجع اخر هو(منتخبات في اخبار اليمن) لنشوان بن سعيد الحميري الذي قال هذه (صعدة مدينة باليمن لخولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.. وسميت صعدة لان ملكاً من ملوك حمير بنى له فيها بناءً عالياً فلما رآه الملك قال لقد صعّده، فسميت على هذا الاساس بصعدة).

صعدة القديمة

كانت مدينة صعدة القديمة قائمة عند سفح جبل اسمه (تلمص) وهو اثري يقع في الجهة الشرقية مباشرة وممتدة شرقاً ومطلة على وادي غراز ووادي رحبان فسميت المدينة حينه من الدهر بمدينة رحبان لانها كانت تقع في شمال وادي رحبان مباشرة فحسب النقوش المسندية القديمة في عهد الملك ذكرت بأنها "نشأ كرب يهأمن يهرحب" ملك سبأ وذي ريدان كما ذكرها ابن المجاور في تاريخه المعروف (المستبصر) عندما قال(صعدة مدينة قديمة ترجع إلى أقدم العصور.. إلى زمن "سام بن نوح عليه السلام" ولكنها خربت واعيد تجديدها أكثر من مرة حتى جاء العصر الاسلامي).

وقد ورد أسم هذه المدينة أيضاً في النقوش القديمة مثل (صعدتم) وتلك النقوش المسندية تذكر بعض احداث الملك (شمر يهرعش) مثل نقش جام رقم (٢٠٩) الذي نص إن الملك قدم قربان الشكرعلى سلامته لإله (القه) إثر الغزوة المظفرة بالنصر التي قام بها ضد القبائل الخارجه عليه كما ورد أسم مدينة صعدة في نقش جام رقم (٦٥٨) الذي ينص على ترتيب حراس المدينة.

ومع مرور الزمن ظلت مدينة صعدة القديمة صامدة امام التيارات والتقلبات التاريخية العنيفة منذ ان تأسست في العصور الضارية في أعماق التاريخ وحتى بداية عصر الاسلام واستمرت بعده قروناً من الزمان وربما تكشف أعمال التنقيب الاثري في المستقبل لموقعها القديم عن الكثير من الاسرار التاريخية وزادت اهميتها كمحطة رئيسية على الطريق التجاري القديم المعروف "بدرب أسعد" أو "بدرب اصحاب الفيل" ثم "طريق الحجيج". ومن الدلائل الآثرية التي اشارت لها المراجع ان مدينة صعدة القديمة لاتقل اهمية عن بقية المدن التاريخية القديمة فهي غنية جداً بالمواقع التي تعود لعصور مختلفة مثل ((عصور ما قبل التاريخ اذا تمثل بالرسوم الصخرية والمخربشات المرسومة بالالوان إضافة إلى الادوات القديمة التي استخدمها الانسان الاول في حياته المعيشية في ضواحي مدينة صعدة واقليم شرق صعدة.. اما في عصر ما قبل الميلاد وما بعده مثل جبل ام ليلى وحصن تلمص وموقع الخزائن ومواقع النقوش السبئية المسندية القديمة المتفرقة في جبال واودية صعدة واقليم شرق صعدة. وفي عصر الاسلام مثلت بعض الشواهد عن المدينة في المساجد التاريخية والجبانات الاثرية واسوار المدن والقلاع والحصون ومعظمها مازالت بحالة جيدة في كل مديريات محافظة صعدة)).

جبل تلمص

جاءت تسمية هذا الجبل الذي يقع على بعد (ثلاثة كيلومترات) في الجهة الجنوبية الغربية لمدينة صعدة الحديثة باعتباره باعتباره الحصن الحامي والحارس الامين لمدينة صعدة القديمة التي شهدت تقلبات تاريخية قوية ومختلفة فهو حصناً من المواقع الاثرية التي ترجع إلى فترة (ما قبل الميلاد) واكتسب اهميته التاريخية كونه محورا استراتيجي للمدينة فمن سيطرعليه استطاع بسط سلطته ونفوذه على مدينة صعدة القديمة ومنه يستطيع كذلك توسع نفوذه لاخضاع أهم المراكز الاخرى في الضواحي القريبة والبعيدة وتذكر النقوش المسندية اهمية موقع هذا الحصن الاثري لفترة (ما قبل الميلاد وما بعده) وظل يكتسب اهمية استراتيجية خلال العصر الاسلامي الذي شهدت فيه مدينة صعدة ايضاً صراعات وحروباً كثيرة وتعرض فيها الحصن للخراب حيناً والاصلاح حيناً آخر وماتزال الشوهد عليه باقية.

سور المدينة

عندما تعرج في طريقك للدخول الى مدينة صعدة الحديثة وعلى بعد بضعة كيلومترات ترى السور الذي أحيط قديما بالمدينة ولم يعفي عنه الزمن الى الان.. يقول المعاصرون إن بناء سور مدينة صعدة يرجع الى عام (٩٤٠ هـ - القرن السادس عشر الميلادي)حيث تم تأسيسه بأمر من الإمام يحي شرف الدين وقد استمرت اعمال البناء فيه نحو ستة اشهر واستخدم في تشييده ٥٠٠ عامل من اصحاب المهن المختلفة وشيد السور من مادة الطين (الزابور) المخلوط بالتين واتخذ الشكل الدائري المتعرج لتسهيل عملية المراقبة وصد هجمات الغزاة لحماية المدينة ومركز الحكم فيها وكذا مقاومة العوامل الطبيعية.

ولهذا السور اربعة ابواب كبيرة تؤدي الى داخل المدينة وهي باب نجران وباب سويدان وباب المنصورة وباب همدان وقد شيدت في اعلى ذلك السور (٥٠) برجا من ابراج المراقبة لغرض الحراسة. وفيها سلالم للصعود تقدر (١٦) سلما ويبلغ اجمالي طول السور (٣٣٢٦) مترا ويتدرج سمك السور عند الاساس بمقياس (٥) مترات امام حجم سمكه عند السطح (٤) مترات ويبلغ عدد اجمالي ميازيب السور الخاصة بتصريف مياه الامطار الى الخارج بنحو (٩٥) ميزابا. ويرتفع السور من الخارج ليبلغ (٨) مترات ومن الداخل (٦) مترات.

الرسوم الصخرية:

تمتاز مدينة صعدة بأنها من أشهر المواقع التي تنتشر فيها "الرسوم الصخرية" التي يعود تاريخها لعصور ماقبل التاريخ وتنتشر هذه الرسومات الصخرية في المرتفعات المطلة على السهول حيث تتوافر المياه العذبة والاعشاب الكثيرة وتوفر المأوى الطبيعية التي كان يحتمي بها الانسان من الحيوانات المفترسة ويتقي بها من عوامل الظواهر الطبيعية القاسية آنذاك.

يقول مسؤولون وخبراء اثار بالمحافظة إن اكتشاف نقوش فن الرسوم الصخرية في ضواحي مدينة صعدة يعد الاول من نوعه.. فقد حققت عملية مسح ميداني لواقع عصور ماقبل التاريخ في مدينة صعدة وضواحيها التي كان الهدف الرئيسي منها هو دراسة (فن الرسوم الصخرية) التي لم ينتبه لها الباحثون إلا في السنوات السابقة حيث قام بعملية المسح البعثة الفرنسية المؤلفة من الدكتور دي بيل هومتر والدكتور مديحة رشاد وذلك بالتعاون مع مكتب الآثار بمحافظة صعدة في بداية التسعينات من القرن الماضي.

وكان أول من اكتشف فن الرسوم الصخرية في اليمن الفرنسي الدكتور دي بيل هومتر في عام ١٩٧٤ اذ تبين المعلومات انه قسم مواقع فن الرسوم الصخرية في ضواحي مدينة صعدة من (سحار) الى نوعين هما (الرسم بواسطة الحفر الغائر والحز والرسم عبر الألوان).

المسلحقات

تجذبك بمجرد دخولك لمدينة صعدة ووسط الجبال قمم واحجار كبيرة غريبة الشكل والوصف لكن اكثر تلك سحرا وتشاهدك امامك مباشرة من أي تجاه تلك المسلحقات التي تقع في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة صعدة وتبعد عنها حوالى (٢كم) وتمتد نحو (كيلو متر) تقريباً تشكل فيها تسع (٩) مجموعات من التلال الجيرية والرملية المتحجرة التي لا يتعدى ارتفاعها اكثر من (٥٠مترا) وذلك لان الرسوم الصخرية تتركز فيها بأشكال متنوعة وذات تواريخ مختلفة على واجهات اسطح الصخور البارزة التي تكون بذلك كهوفاً أو مخابئ، وتمثل مناظر فن الرسوم الصخرية والرسوم الحيوانية التي نفذت باللون الاحمر منها مناظر صيد تمثل وعلاً تطارده الكلاب ذوي الاذناب الطويلة المنحنية إلى الأعلى ومنظر آخر لحيوانات الوعول وهو الموضوع السائد الذي تعكسه الرسوم في تلك المواقع دائما حيث يشبه الرسم في حالة مطاردة من الكلاب او من الانسان الذي يطلق عليه السهم من القوس. وأسلوب هذا الرسم إما بواسطة الحفر والحز هو السائد على نطاق واسع ليجسد حيوانات تمثل مناظر رعي وحياتية اخرى مثل "الغزال والوعل والثور الوحشي" الذي ربما يشير إلى فترة النيوليتية والتي تعود إلى فترة ماقبل الميلاد بنحو ٦ الالف سنة.

كما تدل الرسوم مناظر ثعابين ملونة ورسوم الانسان باوضاع مختلفة واتبع الفنان القديم في رسم لوحاته اسلوب الحفر الغائر والمستعرض صقل خطوطه حتى اصبحت ملساء وكسا سطح نقش اللوحات بطبقة غامقة جداً من غشاء العتق، وهذا دليل على أن مثل هذه الاشكال تمثل اقدم مرحلة من فن الرسوم الصخرية لعصر ما قبل التاريخ وبعض لوحات الرسوم التي وجدت في موقع المسلحقات تعبر عن سعة رؤية الفنان القديمة الذي قام بنقشها واخراجها وذلك من حيث الاسلوب وطريقة النحت والصقل وموضوع اللوحة التي يعبر فيها عما يجري في محيط حياته المعيشية اليومية باحاسيسه الفنية المبدعة.

الحمزات (بني مسعود الحظيرة):

في طريقك بإتجاه اقصى الشمال الشرقي لمدينة صعدة وعلى بعد مسافة ٥ كيلومترات وعلى امتداد موقع المسلحقات من حيث التلال الجيرية والرملية المتحجرة تقع منطقة تدعى (الحمزات) وهي شبيهة بوماوضيع فن الرسوم الصخرية في بعض اشكالها الحيوانية والنباتية وتعبيرات نشاط الانسان فعند موقع منها اسمه الحظيرة تتوزع الرسوم الصخرية الى (ست مجموعات) متنوعة من الهضبة تجد فيها المسلحقات لكن بمجموعة اخرى تمثل اشكالا آدمية لرجال ونساء وأشكال البقر الوحشي تعد متميزة لانها اجمل لوحة بارزة وفريدة من نوعها من حيث التكنيك الذي يبلغ طولها (١٦) مترا وتحتوي هذه اللوحة على (١٥) رسما اهمها رسم مناظر البقر الوحشي الذي يبدو مظهره الضخم على انه الجنس البدائي البري تظهر قرونه القصيرة منحنية إلى الوراء على خلاف جميع الرسومات السابقة التي تمثل بقرونها المنحنية الى الامام.

ويقول خبراء الاثار إن دلائل ذاك الرسم (البقر الوحشي البرمائي) المنقرض حاليا في بلاد اليمن والذي يشبه ما تمثله الرسوم الصخرية في ضواحي مدينة صعدة انه "كان يعيش في مناخ رطب يحتاج ان يغطس في الماء او في الوحل مدة (٨) ساعات على الاقل في اليوم وهذا يثبت ان مناخ الجزيرة العربية في فترة ما قبل ٦٠٠٠ عام قبل الميلاد كان مناخاً رطبا لقد تم صيده أي (البقر الوحشي) في حالته البرية قبل ان يتم استئناسه ولوحة الرسم الصخري في موقع الحظيرة التي تمثل البقر الوحشي ينتمي اسلوب تنفيذها إلى فترة البقر الوحشي الضخم المقصود (البوبالوس) من حيث طريقة الحفر الغائر ولكن كما يبدو انه كان للإبقار اهمية عقائدية كبرى واستمرت هذه الاهمية العقائدية حتى عصور تاريخية متأخرة مثل عصر البرونز وعصر الحديد.

جبل المخروق

في جميع أطراف صعدة تحيط بك جبال شاهقة ومرتفعة تعانق السماء تذهلك لتنحني وقفة إجلال لعظمتها وشموخها لطبيعة الخلابة التي كونها الله سبحانه وتعالى. ومن هذه الجبال الجامحة نتحدث اولا عن جبل سمي (المخروق) الواقع الى الشمال الغربي من مدينة صعدة ويبعد عنها مسافة حوالي (٦) كم. وهذا الجبل اطلق عليها هذا الاسم لأنه مخروق بمعنى انه مفتوح من جهة الى اخرى في وسطه. ولهذا الجبل سلم من الدرج المنحوته من اسفله إلى اعلاه يتم الصعود والنزول بواسطتها ويوجد عند سفح الجبل ماجل للمياه منحوت في الصخر وتتصل به قنوات واحواض صغيرة منحوته تتجمع فيها مياه الامطار وتنقل عبرها المياه إلى الماجل الكبير للتخزين وموضوع فن الرسوم الصخرية في هذا الموقع غني كذلك فمنها ما هو شبيه برسومات المواقع السابقة ومنها ما هو متميز عن غيره مثل اللوحة المرسومة اسفل الجبل التي تمثل حيوان بقر وحشي ضخم (بوبالوس) يختلف عما سبق عرضه باظهار الرأس جانبياً بدل أن يكون مواجهاً وظهور قرن واحد فقط واختلاف آخر يكون في زخرفة الجسد بحلقات دائرية حفرها الفنان لزخرفة الحيوان ورغم ان اسلوب تنفيذ اللوحة قديم جداً الا انها اللوحة الوحيدة الممثلة لهذا النمط الزخرفي للجسد ويتضح من سلسلة فن الرسوم الصخرية في هذه المواقع المتجاورة والمتشابهة في النوع ان هناك استمرارية في الاسلوب الذي يعكس ابداعات مجموعة اجتماعية متجانسة عاشت في تلك المواقع واشتركت في معتقداتها وديانتها ومن المعتقد ان تلك الحيوانات كانت ذات اهمية عقائدية لانها وجدت مرافقة لجميع الاشكال الآدمية.

سد الخانق:

يقع سد الخانق إلى الجنوب من مدينة صعدة بمسافة (٧) كم فهو يمثل حاجز للمسافة الضيقة بين جبلي الصمع والسنارة ويرجع تاريخه الاول الى (القرن الخامس الميلادي)، وقد تعرض لعمليات ترميم وتجديدات كثيرة في عصور مختلفة، واختيار موقعه الهام يدل على تواصل حنكة ونبوغ المهندس اليمني القديم وتطور اساليب الري في الحضارة اليمنية القديمة التي استفادت بمهارة من استغلال الظواهر الطبيعية الملائمة لبناء الحواجز والسدود بمقاييس عملية تستطيع مواجهة ضغط المياه والقدرة على تصريف كميات مياه السيول الزائدة عن حاجة استيعاب السد في مخنق تتجمع فيه مياه مساقط الاودية الشرقية في سلسلة جبال خولان وجماعة، فمن اهمها وادي علاف النازل من شرق جبال ساقين، ويتجه شرقاً إلى مضيق الصمع، وتلتقي به اودية المهاذر ثم يسير في وادي الصحن حيث يلتقي بوادي غراز، ويمر جنوب صعدة، ويلتقي به وادي رحبان النازل من جنوب صعدة من آل عمار من كداد والصفراء، ويلتقي بها وادي دماج النازل من شرق السنارة ومن مشارف جبل براش وجنوب ظفار وكهلان، ويلتقي مع وادي العبدين في مضيق الخانق بين قلعتي السنارة والصمع حتى صعدة الشامخين حيث تم بناء حاجز سد الخانق الذي قام ببنائه العلامة نوال بن عتيك على عهد الملك (سيف بن ذي يزن) ومظهرة (الخنفري) من رحبان صعدة، وقد قيل فيه الكثير من القصائد الشعرية، وكان يحيط به حدائق كثيرة، وظل سد الخانق يؤدي دوره في ري المزروعات حتى مطلع (القرن التاسع الميلادي) عندما هدمه الجزار (ابراهيم بن موسى) الذي قام بغزو مدين.

قلعة السنارة

عندما زار الوفد البرلماني لمحافظة صعدة اتجه بعد وصوله بفترة وجيزة تقارب الساعة في اولى محطاته الاستطلاعية الى الجهة الجنوبية للمدينة حيث تقف امامك قلعة شامخة اوحصن تاريخي عملاق يدعى (السنارة) التاريخي ويبعد عن المدينة بمسافة ١٣ كيلومترا وهذه القلعة تعتبر من أهم القلاع بمحافظة صعدة عموما في مواجهة الغزاة او مقبرة للغزاة على المدينة كونها مغلقة من ثلاث اتجاهات ومفتوحة بإتجاه واحد يمكن الفرار منها.

وقيل ان تاريخ تشييد هذه القلعة في القرن العاشر الهجري والتي بناها في بادى الأمر شمس الدين بن شرف الدين لمواجهة القتال ضد الاتراك ومن ثم استكمل بناءها شرف الدين عبدالرحمن عشيش في القرن الثالث عشر الهجري ،وهذه القلعة تقع على رأس جبل يطل على عاصمة المحافظة وهي تتكون من ٣٦٠ غرفة بعدد أيام السنة.

وكانت قلعة (السنارة) خلال العصر الإسلامي تؤدي دورها ضد المعتدين وحتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبرعام ١٩٦٢ والى يومنا هذا. وكان الإمام يحي حميد الدين ومن بعده ولده احمد قد اتخذا من القلعة سجنا بشعا في معاقبة المعارضين لحكمه.

قشلة الصفراء

قشلة الصفراء تقع في مركز المديرية على هضبة ترابية عالية نسبياً، وهي عبارة عن مبنى حصين قوامه الاحجار ويتبعه برج حراسة ومراقبة يتكون من اربعة طوابق، نمط هندسة عمارته بشكل دائري، ويحتوي على العديد من الغرف، كما يتبع حصن القشلة مرافق خدمية عديدة مثل المبنى المخصص للجنود المجاور للحصن وساحات مرابط الخيول وخزانات المياه، ويعكس مبنى الحصن ومرافقه نمطاً معمارياً جميلاً، وقد تم ترميمه حديثاً واصبح افضل حالاً من السابق.

قشلة كتاف

تعتبر قشلة مديرية كتاف من الحصون التي شيدها الامام «يحيى بن حميد الدين» وكانت تستخدم مركزاً للحكم وسجناً للمناهضين للحكم الامامي الظالم ومقراً لحجز الرهائن ويحيط بمبنى القشلة عدد من التحصينات العديدة والقلاع وكذلك مرافق خدمية، قوام بنائها الطين المخلوط بالتبن ولكن هندسة البناء والتقسيمات الفنية لها طابع فني جميل، ويحيط بالموقع وديان سياحية رائعة وطبيعة اجتماعية بدوية على سجاياها الفطرية.

الزبيدات

"الزبيدات"هي أحد مواقع فن الرسوم الصخرية التي يرجع تاريخها لعصور ما قبل التاريخ، وجوهر الموضوعات التي عبر فيها الانسان الأول في فن رسومه الصخرية عن احاسيسه ومشاعره وثقافته وعكس فيها محيطه البيئي، وهي تشبه تماماً مواضيع مواقع المسلحقات والحمزات والجبل المخروق والخزائن، مما يدل ان كل تلك المواقع ملائمة للسكنى، واستقرت فيها مجموعة من البشر كانت تشكل وحدة اجتماعية عقائدية مشتركة ووحدة ثقافية متجانسة، واستمرت فيها الحياة متواصلة عبر العصور التاريخية المتلاحقة.

ومن خلال التقرير الاثري الميداني للفترة من (١٤ - ٢٠) مايو (١٩٩٧م) لكثير من مناطق ومواقع شرق صعدة الذي كشف عن حقائق تاريخية جديدة بحاجة الى دراسة علمية اكثر، كما كشف لاول مرة حجم الاستيطان البشري الاول في ضفاف اودية وسهول شرق صعدة، وعلى امتداد الاقليم الشرقي من موقع «كدم» الواقع جنوب شرق قرية دم عند ملتقى وادي النشور حيث عثر على لوحات ملونة من العصر البرونزي في ملجئين صخريين، كما تم العثور على وسائل قديمة - مكاشط وشفرات برونزية - وفي موقع وادي غلات الذي يمكن الوصول اليه من الجنوب عبر وادي حرية تم العثور على اربع لوحات رسوم صخرية ملونة وعلى بعض الادوات الحجرية الهامة، وكذلك على امتداد المسافة حتى كتاف مركز المديرية ومنطقة الفحلوين ووادي املح، وكذلك في المواقع التالية:

موقع -فرش النخلة - بالجهة الشرقية من منطقة العشاش وقرية المنامة والمطل من الجهة الغربية على وادي فرش النخلة حيث توجد لوحات الفنون الصخرية ورسوماتها الملونة.

موقع - سبت قاشع - بالقرب منه توجد لوحات الرسوم الصخرية الفنية الملونة بالجهة الشرقية على جبل العادية.

يشير «الهمداني» في كتابه «صفة جزيرة العرب» إلى معلومات متفقة عن اقليم شرق صعدة بانه كان منذ الازل عامراً بسهوله وهضابه الخضراء والمياه الوفيرة تجري في وديانه الخصبة، وهذه اشارات تاريخية واضحة الى اهم العوامل الملائمة لاستيطان الانسان الاول ونشوء وتواصل المستوطنات البشرية عبر مختلف العصور حتى تأسست المراكز الاولى لخدمة طرق القوافل التجارية وما تلاها من تطور حضاري ما زالت شواهده ملموسة في بقايا آثارها العظيمة حتى اليوم.

كدم

يقع مركز كدم في قرية عكوات شرق صعدة، ويعتبر من مواقع الاستيطان الاولى، وقد تواصلت فيه مراحل حضارة الانسان الذي تنتشر مخلفاته الاثرية من مخربشات ولوحات الرسوم الصخرية الملونة وادوات حجرية وبرونزية واحجار جيرية تحتوي على نقوش كتابية بخط المسند غير منتظمة السطور بطريقة الحفر الغائر وتضم قطعاً اخرى كتابات بالخط العربي في مرحلته الاولى، وتوجد هذه الشواهد الاثرية على امتداد خط السير من مركز كدم حتى مركز مديرية كتاف ومنطقة الفحلوين ووادي املح، وفي المواقع الاثرية العديدة في اقليم شرق صعدة، ونظراً لتشابه مكونات تلك المواقع، وتجنباً للتكرار سنورد وصفاً لاهمها كما يلي:

- موقع فرش النخلة: يقع الى الشرق من منطقة العشاش وقرية المنامة يحدها غرباً (وادي فرش النخلة)، اهم الشوهد الاثرية جدران متوازيان طول كل منهما (٣٠ متراً) وارتفاع كل منهما (٣) مترات، قوام البناء فيهما الاحجار الكلسية، ويتخللها مصاطب دائرية الشكل ومبان مماثلة في الجهة الشرقية اكثر اتساعاً ويتوسط الموقع كتل حجرية عليها مخربشات وحروف بخط المسند.

- موقع نجد الفارس: عبارة عن سهل واسع تحيط به سلسلة جبلية، من الشمال وادي وجبل (شملل) وجنوباً وادي (أملح) وشرقاً جبل (اصبع جمعان) وغرباً جبل (نيمار) تبلغ مساحته حوالى (٣٠ كم٢)، يوجد في الجهة الجنوبية من الموقع بقايا جدران، قوامها احجار كلسية غير مهندمة، بالاضافة الى اربعة جدران متوازية تتخللها ابراج دائرية مختلفة الاحجام، ثم يليها جدار طولي يتجه من الشرق الى الغرب بامتداد (٦٩متراً) ينتهي ببرج دائري يوجد، في منتصفه قطعة حجرية عليها حروف بخط المسند، ويلاحظ ان هذه الجدران لا تتصل ببعضها ولا تشكل سوراً للموقع، ولذلك فهي بحاجة إلى دراسات علمية للوصول إلى نتايج موضوعية لما كانت عليه وظائفها الحقيقية على الطريق التجاري القديم، وفي الجهة الشمالية للموقع توجد مجموعة كبيرة من المباني الدائرية الشكل قوام بنائها الاحجار الكلسية مختلفة الاحجام يصل عددها الى (٣٦ مبنى) متجاورة، اما الرسوم الصخرية الملونة والكتابات بخط المسند توجد في الشمال الغربي للموقع وفي الجهة الجنوبية الشرقية لجبل (نيمار).

- موقع سبت قاشع: يقع في الجهة الغربية من موقع نجد الفارس في سهل منبسط، ويجد بجهته الغربية جدار طولي بمسافة (١٢٠متراً) تتخلله فتحات اتساع كل منها (٨٠ سم) تنتهي اطرافه بمبان حجرية دائرية الشكل، كما يوجد في الجهة الشرقية للموقع جداران مائلان بهما - ايضاً - فتحات بعرش (٨٠ سم) ينتهيان من الجانبين بمبانٍ دائرية، وحول الموقع رسوم صخرية ملونة وكتابات مسندية.

- موقع دحل الحنش: يقع في منتصف المسافة بين موقع نجد الفارس وموقع سبت قاشع، وهو عبارة عن مبنى مستطيل الشكل قوام بنائه الاحجار الكلسية، وكانت له بوابة غربية يحيط بها عمودان من الحجر ارتفاع كل منهما (مترات) بالاضافة الى بوابة شرقية يقابلها عمود حجري بارتفاع (مترين) - ايضاً - عليه زخارف محزوزة ملتوية تشبه الثعبان، وسمي الموقع بهذا الاسم نسبة إلى تلك الزخارف، وكان يحيط بالموقع من جهتي الشمال والجنوب بقايا مبانٍ دائرية الشكل.

قشلة مجز

تقع القشلة في مركز مديرية مجز ويرجع تاريخها إلى عام (١٩٤٠م) في عهد الإمام «يحيى بن حميد الدين» الذي اهتم ببناء الحصون في مراكز صعدة الهامة، وقشلة مجز تختلف من حيث التصميم وهندسة البناء عن غيرها في محافظة صعدة فهي تحتوي على اربعة أبراج دائرية، كما تحتوي على العديد من الغرف، ويتوسط الابراج الاربعة تقسيمات داخلية لغرف القيادة وغرف للجنود ذات طابع معماري وتقسيمات هندسية جميلة.

الخزائن

تعرف الخزائن بأنها من المواقع الاثرية والتاريخية الهامة حيث تدل الشواهد الموجودة حاليا فيه على استمرار وتواصل النشاط البشري في هذا الموقع من الالف السنين وذلك من خلال فن الرسوم الصخرية المتنوعة البارزة على واجهات صخوره التي ترجع الى عصور ما قبل التاريخ، وكذلك وجود النقوش المسندية القديمة وبقايا كهوف منحوته في الصخر بعناية والتي ربما استخدمت عبر العصور لاغراض عديدة، ففي عصور ما قبل التاريخ استخدمت مثل تلك الخزائن كمأو للانسان يحتمي فيها من الوحوش المفترسة، وبقي نفسه فيها من تقلبات الظواهر الطبيعية الخطيرة على استمرار حياة الانسان، اما في العصور التاريخية فاستخدمت الكهوف المنحوتة بالصخور كمقابر صخرية لدفن الموتى، وموقع الخزائن يوجد فيه خمس فتحات مستطيلة منحوتة في جوف الصخر تفضي إلى غرف كل غرفة منها بطول (٥ مترات) وعرض (٤ مترات)، كما يوجد العديد من النقوش اليمنية القديمة وبعض بقايا الاساسات لمنشآت اثرية قديمة، بالاضافة إلى خزان منحوت في الصخر على شكل بئر شبه دائرية عمقها حوالي (٨ مترات) وعرضها (٣ مترات) وتقع الخزائن في الجهة الشمالية الغربية لمدينة صعدة بمسافة (١٥كم).

العدنة

اشتهرت صعدة باستخراج خام «الحديد» وصناعته في كل مجالات الحياة المختلفة وذاع صيتها في مجال المصنوعات الحديدة الحربية ومصنوعات الاغراض الاقتصادية اليومية، وكانت العدنة احدى اهم المواقع لاستخراج خام الحديد منذ عصر ما قبل الاسلام، ويشير المؤرخون أن مصانع الحديد كانت في جماعة ومدينة صعدة ويروي بعض الثقاة من أهالي صعدة عن آبائهم أن المدينة كانت تضم (سبعمائة حوي) كل (حوي) يحوي (ثلاثة أفران) لصهر الحديد، ولا يزال خبث الحديد داخل مدينة صعدة وخارجها حتى الآن، فمناجم الحديد موجودة حتى الان في شرقي جبل العبلا المطل على صعدة من الجهة الشرقية وفي العدنة بالقرب من مديرية جماعة.

قشلة باقم

تقع القشلة في مديرية باقم، وهي المركز الاداري للمديرية، وهي عبارة عن احد الحصون التي شيدت في عهد الإمام «يحيى بن حميد الدين» الذي حكم اليمن بعد خروج الاتراك من عام (١٩١٨م) إلى عام (١٩٤٨م) وكان لمحافظة صعدة في نظر الامام وضع خاص نظراً لمواقعها الجغرافي الهام، ولذلك شيد في مراكز المديرية قلاعاً وحصوناً تستخدم لتسيير شؤون الدولة المدنية والعسكرية، وتساهم في حفظ الامن والاستقرار.

مبنى قشلة مديرية باقم مكون من ثلاثة طوابق، قوام بنائها من مادة الطين المخلوط بالتبن، ولها برجان دائريان كان يستخدمان للمراقبة، ويتبع القشلة «مسجد شققة» قبابه في غاية الجمال الفني المعماري بالاضافة إلى دوره الديني والعلمي يؤدي وظيفته كهجر العلم.

جبل أم ليلى

يقع جبل أم ليلى إلى الشمال الغربي من مدينة صعدة جماعة «مديرية باقم»، ويبعد عن المركز الاداري لمحافظة صعدة - مدينة صعدة - بمسافة (٦٠ كم) عبر طريق اسفلتي، ويرجع تاريخ المنشآت الاثرية الموجودة على جبل ام ليلى إلى (القرن الثالث الميلادي) أثناء فترة الصراع والتنافس بين ملوك سبأ في العاصمة مأرب والمرتفعات السبئية في صنعاء وما جاورها، وكان الهدف من عمل تلك التحصينات على جبل أم ليلى هو حماية طريق سير القوافل التجارية القديمة التي عرفت تاريخياً فيما بعد «بدرب أسعد الكامل» أو «درب أصحاب الفيل» ثم عرفت في العصر الاسلامي «بدرب الحجيج».

وتم استخدام هذاالموقع في عصور تاريخية مختلفة لما قبل الاسلام وما بعده، وتكوينات التحصينات في جبل ام ليلى كما يلي:

طريق مرصوفة بالاحجار تقع على الجهة الشمالية من الجبل وهي الممر الوحيد الذي يربط سفح الجبل بقمته التي ترتفع عن مستوى سطح الوادي حوالى (١٠٠٠متر).

السور الذي يحيط بالجبل من الاعلى تتخلله ابراج ونوبات الحراسة والمراقبة، وله بوابة واحدة فقط في الجهة الشمالية تتصل بالطريق المرصوفة بالاحجار.

قمة الجبل مسطحة طولها (٥٠٠متر)، وعرضها (٢٠٠متر) انشئ عليها الكثير من المرافق الخدمية مثل خزانات حجز المياه «برك» مبنية بالاحجار والقضاض، وهي ذات احجام مختلفة، كما توجد ثمانية مدافن لخزن الحبوب منحوته في الصخور، وكما توجد بقايا آثار منشآت خدمية اخرى، ونقوش كتابية بخط المسند.

في العصر الاسلامي تم اضافة بناء مسجد يتبعه العديد من البرك والحمامات التي تشبه كثيراً من حيث نمطها المعماري تلك البرك والحمامات التابعة لجامع الامام الهادي في مدينة صعدة، وتشبهها من حيث الشكل والمواد المستخدمة -أيضاً-.

ويزيد من اهمية وشهرة هذا الموقع النقش السبئي المكتوب بالخط المسند على وجه صخرة تم تسويتها من اصل الجبل بالقرب من قمته، وقد تم دراسة محتوى النقش من قبل الاستاذ مطهر بن علي الارياني وكذلك عالم اللغويات الفرنسي الدكتور «روبان» واشار الاستاذ مطهر الارياني إلى أهم صفات النقش من حيث الشكل بما يلي:

«يقع هذا النقش في (إثنى عشر سطراً) قصيراً، لا تزيد كلمات اطوالها عن خمس كلمات، وقاعدته الخطية تعود إلى العصر الوسيط الاقدم أي (اواخر ما قبل الميلاد وأوائل ما بعد الميلاد)، وهو مدون بالحروف الغائرة ومقروء كله، وقد دون على صخرة مستوية الوجه بالقرب من قمة الجبل، وليس في النقش تاريخ لا بالسنين ولا بالاسماء التي يؤرخ

لوحة يبلغ طولها ١٦ متراً تحتوي على ١٥ رسماً أهمها رسم البقر الوحشي

جبال شاهقة ومرتفعات تعانق السماء

رسوم صخرية تعكس حياة اجتماعية متجانسة ومعتقدات مشتركة